

## لن تمكن حتى تبتلى



الثلاثاء 8 أكتوبر 2019 12:57 م

كتب: هادق أمين

أصاب اليأس والقنوط بعضنا مما تعانيه الأمة على كافة الأصعدة، ونسمع: "ليس لها من دون الله كاشفة"، ومن يقرأ التاريخ يدرك أن سنن الله ماضية، ولا تمكن دون ابتلاء، فهما وجهان لعملة واحدة، أو هذه بتلك؛ والتمكين خاص وعام، وقد من الله على سيدنا يوسف عليه السلام بتمكينه الخاص من قلب العزيز، ثم مكنه وهو في السجن، وبعد ذلك جاء التمكين العام فقال: "اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم"، وكان الآيات توضح أن من يأخذ بأسباب التمكين فهو حليفه، وقيل: "وَلْيُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ"، ليس معناها تعبير الرؤى فحسب، بل أعم من ذلك، فتشمل تفسير الأحداث والوقائع وتوقع نتائجها، والتخطيط للنصر والأخذ بأسبابه؛ فالسنن لا تتخلف.

ولا يخلو التاريخ من أحداث مشابهة يستفيد منها أولي النهى، وهذا ما يُطلق عليه (فقه الواقع)، ولا بد أن يرتبط ذلك بالكتاب والسنة، مع الأخذ في الاعتبار واقعنا وقدرتنا، وحال أعدائنا.

الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، ومن هوانها عليه أن ترك كلاب المترفين فيها تشيع مع المترفين، وترك حملة الوحي فيها يهونون مع الوحي، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول: اللهم أنتي أفضل ما أتيته عبادك الصالحين! فقال: "إذن يُعَقِّرُ جوادك ويُراقُ دمك!" حتى الجواد يُقتل مع صاحبه، فلا يستوي جواد الفارس وقرينه الذي يجزُّ عربة بضاعة، ومن اصطفاه الله في الدنيا لا يرجع إلى الآخرة دون أداء رسالته، ولا يعود سالماً من طعنات الدنيا الغادرة، فقد مَزَّقَ المجوسيُّ أحشاء عمر رضي الله عنه، وطعن ابن ملجم علياً وقتل عثمان رضي الله عنهما، ولم ينج سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأوغاد الأمة تآمروا ويتآمرون على كل شريفٍ فيها، ولا تزال سلسلة الشهداء تطول حلقاتها ما ظلَّ صراعٌ بين حقٍّ وباطلٍ.

وما أعلمه يقيناً أن أتباع محمدٍ لا يُدُلُّون، ولا يقبلون الهوان ما بقي فيهم رجلٌ، أو ظلَّت في نفس أحدهم فضيلةٌ، أمرنا الله بالجهاد لنبلِّغَ دعوته في أصقاع الأرض، ونكون مصابيح هداية للبشر، لكن... آثرنا الغانية على الباقية! قعدنا وفتح الأعداء بلادنا، وفتنونا في ديننا، وأملوا علينا شروطهم؛ حكم أجدادنا بعدلٍ لا مثيل له في كلِّ الأمصار، والآن نُحَكِّمُ بالباطل والقهر من بني جلدتنا؛ باع سلفنا نفوسهم وأموالهم ثمناً للجنَّة، وزهدنا فيها وبيعها لأجل

حياة ذليلة وكراسي معدودات! عمائم ولا رجال، وليحى ولا شيوخ، تصدعت قباب المناير، ومادت أعمدة المساجد  
وثنتهك المحارم، نقوى على الرقص والخنا ولا نقدر على الخيل والقنا، ولا نفرق بين ذباب الصيف وذباب السيف  
إلا من رحم.

وأكاذ أسمع من يهذي... ندعو ولا يُستجاب لنا! ومن يهرف: لو كنتم على الحق لُنصرتم! ونالنا يقول: متى تتدخل  
عناية السماء فتفتنص للمظلوم؟

فاعلم يا هذا أن التدخل الإلهي في الأرض قدز لا يحابي، وسنة لا تجامل، ولكل مسلم منا دور في الأحداث،  
ويتقرر مصيره تبعاً لما يعلمه الله في قلبه ونفسه، وطبقاً لما صدر عنه من أقوال وأفعال، "إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا  
يَقُومُ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ"، ورحم الله من شعائهم "أصلح نفسك وادع غيرك"، ومن يجتهد ويسعى لإصلاح  
قلبه وتهذيب سلوكه وفق عقيدة صحيحة ومنهج قويم سيجعله الله ستاراً لقدرته يحقق به الآمال المنشودة،  
ويمنُّ عليه أن يجعله في فسطاط الإيمان الذي لا نفاق فيه، أما الآخر.. الذي يعيش في غفلة، وقلبه لا عن  
الحق، فسيكون مصيره فسطاط الكفر والنفاق الذي لا إيمان فيه، ولا فسطاط ثالث للذين أذنبوا أنصاف الحلول،  
فلا إنصاف في أنصاف! وهذه هي فتنة الدهماء التي لا تترك أحداً إلا لطمته لطمه، يصبح الرجل فيها مؤمناً  
وئمسي كافراً. والثابت يقيناً أن المنافق يتألم كما المؤمن، لكن المؤمن يرجو المغفرة والرحمة والنبات على  
الطريق والنصر، أما غير المؤمن فلا رجاء له، ولقد سئل الإمام الشافعي رحمه الله: أيهما أفضل للعبد الابتلاء أم  
التمكين؟ فقال له: لن تُمكن حتى تُبتلى.

والذي وقع في أزمة، والذي عُيَّب في سجن، والذي طُرد من بيته، والذي طُلم من جبار، والذي عاش في زمان  
الاستضعاف، كل هؤلاء قريبون من الله، فإذا وصلوا إلى مرادهم، وُرفِع الظلم عن كاهلهم نسوا الله إلا من رحم،  
وقليل ما هم، وهذا سرُّ طول فترة الإعداد والبلاء وقصر فترة التمكين والله أعلم؛ وأقول لكلُّ مُبتلى: أبشر، فقد  
هيا الله لك فرصة عبادة فاعتنمها قبل أن يُرفِع البلاء، وتأتي العافية، فتنسى، وليس لك أن تنساه.

"إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ"، (غافر:51).

